جنوب السودان ، ما لم يقص من القصة

هيلدا جونسون

Hilde F .John son : Southern Sudan : The Untold story 2016

مولفة الكتاب شخصية معروفة في المجتمع السياسي السوداني " شماله وجنوبه " فقد كانت وزيرة للتعاون الدولي في النرويج ، ثم مفوض الأمين العام للأمم المتحدة لمفوضية جنوب السودان ، بالإضافة إلى مناصب عالمية ، كما لها كتاب عن السودان وإتفاقية السلام ، أبرزت فيه دورها كجزء من جهود أمريكا والإتحاد الأوربي وبريطانيا وبلدها في إتفاقية السلام التي أدت لتقرير المصير ثم الإنفصال وقيام دولة جنوب السودان .

وكتب فاتحة الدراسة الأب ديزمند توتو الأسقف الشهير ، الذي يتكلم عن الحب والسلام والمحبة ولكن حينما يتعلق الأمر بالسودان فليس عنده إلا العبارات المسمومة التي تشبه علاقة الشمال بالجنوب بنظام التفرقة العنصرية والعبودية والسخرة ، وبدأ مقدمته بهذه العبارات المسمومة وهو الحائز على جائزة نوبل للسلام ، وافضل منه عبارات المدح والثناء التي كالها الخواجات المنغمسين في الشأن السوداني للكاتبة والكتاب وكانت إلى حد موضوعية وخالية من الذم والتجريح.

والكتابة النمطية عن تاريخ السودان الحديث ، تجهل أن أهل السودان لم يكن لهم إلا النصيب الضئيل من حكم السودان في الفترة الممتدة من 1820 حتى الإستقلال 1956 – وهي مائة وستة وثلاثين عاما كان نصيب السودانيين 13 عاما هي فترة المهدية 1885- 1898 – وهذه الفترة كان الغالب فيها الإتجاه نحو الشمال والشرق : حروب الحبشة ومصر " إذا من أين جاءوا بالحكايات عن تهميش أهل السودان لأخوانهم في الجنوب وتجارة الرقيق الخ – بل إن تمرد الجنوب بدأ قبل رفع علم الإستقلال وكأنه خنجر مصوب لإبطال تدابير الإستقلال أغسطس 1955م – فالذي بدأ الحرب هي الفرقة الإستوائية وليس حكومة الإستقلال .

تبدأ الكاتبة كتابها بعبارة غير دقيقة ص 3 حينما تقول بحلول الإستقلال عام 1956 فإن السلطة انتهت إلى حفنة من النخبة العربية الإسلامية في الخرطوم ، وهذا كلام غريب ، لأن هذه النخبة هي وليدة مؤتمر الخريجين الذي هو زبدة المشروع التعليمي الحديث ومن صلب المؤتمر خرجت الأحزاب السياسية ، التي دخلت في إنتخابات بإشراف دولي وتحت عين المستعمر الإنجليزي وأصبح الأزهري " كردفاني " رئيسا وسبقه عبدالله خليل أمدرماني وكنزي وله امتداد في أم كدادة كذلك رئيسا وتحت رعاية أهم زعيمين عرفهما السودان السيدي على الميرغني وعبدالرحمن المهدي وفي البرلمان والحكومة كان كل أهل السودان ممثلين من بوث ديو الجنوب إلى أبي سن الوسط – ولا اعتقد أن هناك قطر حديث الإستقلال

كان في حكومته تمثيل وتنوع ومشروعية كما في حكومة الإستقلال ، صحيح أن هناك مظالم برزت في مشروع السودنة الذي اكتمل قبل رفع علم الإستقلال .

وفي ص 4 تفاجأ بخطأ حينما قالت أن جون قرنق أرسل إلى بور في عام 1983 لإخماد التمرد، والحقيقة أنه ذهب في إجازة ولم يرسل لإخماد التمرد ولم يك التمرد في منطقة بور قد بدأ – وتكلمت عن قرنق كمحرر وفارس ولم تتكلم عن قهره وسجونه وسفكه لدماء معارضيهداخل الحركة الشعبية ، كما لم تتكلم عن الدور الليبي والإثيوبي والإسرائيلي والكنسي في دعم التمرد ولأسباب مختلفة ، وليتها رجعت إلى مذكرات المرتزق الألماني الشهير اشتاينر أو حتي إلى كتابي الموسوم Sudan : The christen Design وقد حارب السودان التمرد لأن ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية كان ضد تعديل الحدود القائمة كما حدث في حرب بيافرا ، كما أن حركة تحرير جنوب السودان تختلف عن الثورة الإريترية ، لأن إريتريا كانت تحت الاستعمار الإيطالي ثم وصاية الأمم المتحدة وادخلت في نظام فدرالي مع إثيوبيا وأجهضت إثيوبيا النظام الفدرالي في عهد الإمبراطور هيلاسلاسي ، مكما أدي إلى اندلاع الثورة على خلاف تام مع حركة التمرد العسكري الجنوبي .

وتكلمت في ص 9 – إلي جهود نائب الرئيس على عثمان وجون قرنق ولمدة 18 شهر وخلف أبواب مغلقة واهملت دور د. غازي العتباني . ومن أشجع عبارات الكتاب اشارتها في ص10 إلي أن جون قرنق اغتيل وان ما حدث من أغتيال تعززه نظريات بأن لعبة قذرة قد تمت ، كما ذكرت بأن مراكز القوة في النظام السوداني همشت دور على عثمان بعد مون قرنق ص 11 ، علما بأنه وحسب قولها أن على عثمان وعلى هامش اجتماعات الأمم المتحدة في 24/9/2010 التقي بجون قرنق وأوباما حتى يتم الأستفتاء في موعده .

عنونت الفصل الثاني بعنوان " بلد بدون دولة " وأن الحركة الشعبية كان شعارها يتكلم عن العدالة والمحاسبة والمسئولية وشمول التمثيل والشفافية ولكن حدث العكس ، حيث كانت الأموال تشحن في صناديق ويذهب بها إلى مقر الحركة وليس إلى بنك السودان في جوبا ، في وقت أصبحت الحركة تتحكم في تدفقات مالية تتجاوز المليار دولار سنويا– مما فتح الباب أمام الفساد والعبث وأخبرت جون قرنق بذلك ولم يفصل شيء سوء الإنتظار حتى تقوم المؤسسات ص 25 ، وكانت ميزانية الجنوب في عام 2005م 14.5 مليون دولار واصبحت في عام 2006 1.34 بليون دولار ص 28 ، ومن أصل 12 بليون حولت من الخرطوم إلى الجنوب ، اختفت أكثر من 4 بليون دولار ، ومن الطرائف أن طريقا وهميا في بحر الغزال صرف عليه مبلغ 368 مليون دولار ص 36 وفضيحة أخري تمثلت في استيراد ذرة بمبلغ 2.3 بليون دولار بواسطة شركات وهمية، وأن أحد الثوار كان يلبس في معصمه ساعة

بمبلغ 75 ألف دولار ، وأصبح لبعض ثوار السودان الجديد حسابات في البنوك الأجنبية في حدود مائة مليون دولار في وأن الثوار أصابتهم سكرة الحكم بدليل أن الرئيس سلفاكير تغيب عن حفل أقامه له السكرتير العام للأمم المتحدة حضره معظم رؤساء العالم وهو ضيف الشرق في سبتمبر 2011 وكذلك تغيب عن حفل آخر في عام 2014م اقيم له في الأمم المتحدة بحضور المانحين ص 53 .

وتكلمت عن أن جورج بوش التقى بسلفاكير ثمانية مرات ولكن أوباما لم يستمر على ذات الوتيرة كما أن سلفاكير كان ينفي باستمرار دعمه لقطاع الشمال الحركة الشعبية بينما الامريكان كان يعفرفون تماما قصة الدعم الوارد ، وفي قضية رسوم عبور البترول سخرت من البرلمان السوداني الذي حددها ب 35 دولار للبرميل بينما الرسوم العالمية المعروفة يضع دولارات " لا تتجاوز 3.50 دولار وأدي ذلك إلى صراع مع السودان وقامت حكومة جنوب السودان باختيار أسوأ خيار وهو اغلاق آبار النفط وإيقاف تدفقه إلى الأسواق العالمية ليصبح جنوب السودان بدون ميزانية ابتداءا من 21 يناير 2013م ، مما أدى إلى أن يغرق الجنوب في مسلسل الإستدانة من البنوك والدول الأجنبية ، ومما مهد للصدام حول هجليج وتقول هيلدا أن هجليج جزء من جنوب السودان ولكن لايجوز استردادها بالقوة العسكرية وإنما بالمفاوضات والعمل السياسي وأن قوات جنوب السودان انسحبت من هجليج في 2 ابريل 2013م ولذلك حينما دخلت القوات السودانية لم تجد أثرا للسلاح الثقيل الذي كان قد تمّ سحبه ، ونقف هنا على أن نستكمل في الحلقات القادمة .

أ.د. حسن مكي محمد أحمد